

تفسير ابن كثير

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ^ج وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ ^ج
أُمَّهَاتِكُمْ ^ج وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ^ج ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ^ط وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ
يَهْدِي السَّبِيلَ

يقول تعالى موطنًا قبل المقصود المعنوي أمرا حسيا معروفا ، وهو أنه كما لا يكون للشخص

الواحد قلبان في جوفه ، ولا تصير زوجته التي يظاهر منها بقوله : أنت علي كظهر أمي -

أما له ، كذلك لا يصير الدعي ولدا للرجل إذا تبناه فدعاه ابنا له ، فقال : (ما جعل الله

لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم) ، كقوله :

(ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا) . [

المجادلة : 3] . وقوله : (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) : هذا هو المقصود بالنفي ; فإنها

نزلت في شأن زيد بن حارثة مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، كان النبي صلى الله عليه

وسلم قد تبناه قبل النبوة ، وكان يقال له : " زيد بن محمد " فأراد الله تعالى أن يقطع هذا

الإلحاق وهذه النسبة بقوله : (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) كما قال في أثناء السورة : (

ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء
علیماً ([الأحزاب : 40] وقال هاهنا : (ذلكم قولكم بأفواهكم) يعني : تبنیكم لهم قول
لا یقتضي أن یكون ابناً حقیقياً ، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر ، فما یمكن أن یكون
له أبوان ، كما لا یمكن أن یكون للبشر الواحد قلبان . (والله یقول الحق وهو یهدي
السبیل) : قال سعید بن جبیر (یقول الحق) أي : العدل . وقال قتادة : (وهو یهدي
السبیل) أي : الصراط المستقیم . وقد ذكر غیر واحد : أن هذه الآیة نزلت فی رجل من
قریش ، كان یقال له : " ذو القلبین " ، وأنه كان یزعم أن له قلبین ، كل منهما بعقل
وافر . فأنزل الله هذه الآیة رداً علیه . هكذا روی العوفي عن ابن عباس . قاله مجاهد ،
وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، واختاره ابن جریر . وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ،
حدثنا زهير ، عن قابوس - یعنی ابن أبي ظبيان - أن أباه حدثه قال : قلت لابن عباس :
أرأیت قول الله تعالى : (ما جعل الله لرجل من قلبین فی جوفه) ، ما عنی بذلك ؟ قال
: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً یصلي ، فخطر خطرة ، فقال المنافقون الذین
یصلون معه : ألا ترون له قلبین ، قلباً معكم وقلباً معهم ؟ فأنزل الله ، عز وجل : (ما جعل

اللَّهُ لرجل من قلبين في جوفه) . وهكذا رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن
الدارمي ، عن صاعد الحراني - وعن عبد بن حميد ، عن أحمد بن يونس - كلاهما عن
زهير ، وهو ابن معاوية ، به . ثم قال : وهذا حديث حسن . وكذا رواه ابن جرير ، وابن
أبي حاتم من حديث زهير ، به . وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، في قوله :
(ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) قال : بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة ،
ضرب له مثل ، يقول : ليس ابن رجل آخر ابنك . وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد :
أنها نزلت في زيد بن حارثة . وهذا يوافق ما قدمناه من التفسير ، والله أعلم .